

تشكل العربية حرف التاء تمه والقال دالاً والطاء ضاداً أو زايماً أحياناً . ومن أهم خصائص اللهجة العربية المصرية من حيث التركيب إضافة حرف الشين للدلالة على النفي ، مثل « ما يرضاش » بدلاً من « ما يرضى » و « ما هوش طيب » ( ويقول العمامة موش طيب ) بدلاً من « ما هو طيب » ووضع اسم الإشارة بعد المشار إليه مثل « البيت ده » ، وكثرة استعمال التصغير في الصفات بلا مسوغ مثل « صغير » بدلاً من صغير و « قريب » بدلاً من قريب

ولا يوجد فرق كبير بين اللهجة الدارجة والفصحى كما يفرض المستشرقون الأوروبيون . ويمكن وصف اللهجة الدارجة أنها تبسيط للهجة القديمة بحذف حركات الكلام الأخيرة خاصة ، وبوجه آخر إهمال التفرقة بين أنواع إعراب الاسم المختلفة وبعض أشخاص الأفعال (١) . كما أنه لا يوجد فرق كبير بين اللهجات العربية في البلدان المختلفة كما يتصور بعض من لم يخاطب أهل هذه البلاد . وتشابه هذه اللهجات أكثر مما تشابه لهجات بعض مناطق إنجلترا المختلفة . وتقيض اللغة العربية بكلماتها المترادفة ، فتجد بعض الكلمات تستعمل في بلد ما وما يرادفها في بلد آخر . فيقول المصريون مثلاً « لبناً » بينما يقول السوريون « حليباً » ، وتطلق السوريون ( اللبن ) على الصرب ( اللبن الحامض ) . وكذلك الخبز يسميه المصريون « عيشاً » بينما يطلق عليه في البلدان العربية الأخرى خبزاً ، إلى غير ذلك من الأمثلة المدينة من هذا النوع . ويلاحظ أن نطق المصريين أطف وأعذب من نطق السوريين وأكثر البلدان التي تتكلم العربية

والأدب العربي غني شامل ، وأهميته في كية كتبه أكثر مما هي في كيتها . ويبلغ عدد الكتب التي تبحث في الدين والفقه الربح قرىياً ، يتلو ذلك كتب النحو والصرف والمعاني والبيان

(١) بدأ العرب يسطون لغتهم في القرن الأول للهجرة تياً لانتشارهم في البلدان الأجنبية التي ما كانت تستطيع أن تتعلم لغة الداعين الصبة . ولايات ذلك أظن « الأخبار الإسلامية » لأبي الفداء . عربي ولايني Abulfedae Annales Muslemici الجزء الأول من ٤٣٧ و ٤٣٤ . ويمكن تقديم عدة أدلة أخرى إلا أن هنا الأمر معروف . وتؤكد العربية الحديثة تشابهها للعربية دلائل الاعتباط الظاهر في تلك اللغة الأخيرة

## ٢٧ - المصريون المحدثون

### شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد دليم ليبس

للأستاذ عدلى طاهر نور

### الفصل التاسع

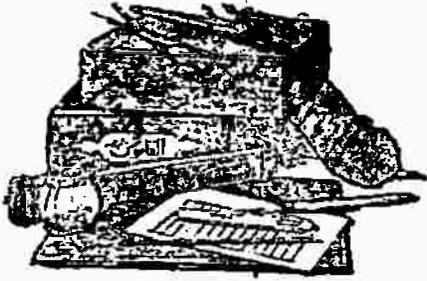
اللفظة والأدب والعلوم

احتفظت القاهرة بشهرتها النسبية التي امتازت بها عدة قرون ، أنها خير مدرسة للأدب العربي وعلم التوحيد والفقه الإسلامى . ولا جرم أن التعليم انحط كثيراً عند العرب عامة إلا أنه كان أقل انحطاطاً في القاهرة . فشهرة علماء هذه المدينة لا تدانيها شهرة . ولا يزال مسجدها « الجامع الأزهر » يجذب إليه الطلاب من كافة أنحاء العالم الإسلامى .

ويلاحظ أن اللهجة العربية التي يتكلمها أهل القاهرة من الطبقتين الوسطى والعليا أدنى من لهجات بدو الجزيرة العربية وسكان المدن المجاورة مباشرة من حيث النطق وقواعد الصرف والنحو ؛ إلا أنها تفضل اللهجات السورية كثيراً ، واللهجات المغربية أكثر . وأهم الخصائص التي تلاحظ في نطق المصريين ما يأتي : ينطق القاهريون ومعظم المصريين حرف الجيم جامداً بينما يسطشه عرب الجزيرة وسورية وغيرها . ولكن يجدر أن نلاحظ أن حرف الجيم ينطق جامداً (١) في بعض جنوب جزيرة العرب وهو منشأ اللغة العربية كما يقال . وينطق حرف القاف همزة حيث يسود نطق الجيم الأول ، غير أن الثقفين ينطقونه قافاً على حقيقته . وتنطق الجيم معطشة أو قريبة من ذلك في بعض مناطق مصر ، كما تنطق القاف جياً . وينطق المصريون جيمياً وكذلك أغلب الشعوب التي

(١) ويدعو على الأرجح أن عرب مصر احتفظوا في هذه الحالة بنطق كان مالوفاً ، إن لم يكن ماناً ، عند أسلافهم في آسيا . أظن De Sacy Grammaire Arabe الطيبة الثانية الجزء الأول من ١٧ و ١٨

الورق ممزقة . ويميش الكثيرون في القاهرة على نسخ المخطوطات ويبلغ أجر نسخ الكراسة وهي عشرون صفحة في كل صفحة خمسة وعشرون سطراً بالخط العادي ، ثلاثة قروش ، ويزيد المبلغ إذا حسن الخط ويتضاعف إذا شكل الكلام



( شكل ٥٢ ) كتب وأدوات الكتابة

وهي تتكون من التلم واللقطة والمنقش والهوابة والسطرة والمسندة ( وقد وضعت عليها الآلات الخشبية المذكورة سابقاً ) والنص وقد وضع وغمدته فوق الكتاب الأعلى

ويتلقى الذين يعدون أنفسهم لوظيفة دينية أو علمية دروسهم في الأزهر ، ويتعلمون قبل ذلك القراءة والكتابة وتلاوة القرآن أحياناً . والأزهر<sup>(١)</sup> - جامعة الشرق عامة - بنيان واسع الأجزاء ، يحيط بقفاز مربع فسيح . ويوجد على أحد جوانب القفاز من جهة القبلة مكان الصلاة الرئيسي : وهو رواق فسيح ، وعلى كل جانب من الجوانب الثلاثة الأخرى أروقة صغيرة مقسمة إلى عدة أقسام يختص الواحد منها لطلبة بلد معين أو مديرية خاصة من مديريات مصر . ويقع الأزهر في قلب القاهرة ، وعمارته لا تستحق الاعتبار ، وإحاطته بالنازل تخفى خارجه إلا قليلاً . وسمى من يتلقى العلم في الأزهر « مجاوراً » ، ولكل رواق مكتبة

(١) ولا يسمى الأزهر « جامعة » بل هي الميثاق ، إلا أن اللذين يتبرونه كذلك . وقد ترجم السياح الأوروبيون اسم الأزهر بجمع الأزهار بدلاً من جامع الأزهر التي هو الاسم الصحيح ومعناه الجامع الكبير . وهذا الجامع هو الأول من نوعه بالنسبة لجامع القاهرة القديمة من حيث عهد إنشائه وسعته . وظاهر الأمر أن ما ندم في هذه الحاشية ( وكانت مدرجة في الطبعة الأولى من هذا الكتاب لم يفتح إليه البارون هامر برجستال ، إذ أنه كتب ملاحظاً ( في Vienna Jahrbücher der Literatur ٨١ ص ٧١ ) أنه كان يجب أن يكتب بدلاً من « أزهر » كلمة « إزهر » إذ أن الأول كما يقول تني « أزهار » ، واسم هذا الجامع ينطقه غالب المصريين والعرب على الصواب كما كتبه « أزهر » ، ثم أن جمع الزهرة « أزهار » ، إلا أن الترك ينطقون الكلمة الساخنة « إزهر »

والفروع المختلفة لعلم اللغة Philology . وتشمل كتب التاريخ ( وعلى الأخص تاريخ الأمة العربية ) والجغرافية المرتبة الثالثة ، وأخيراً الشعر . أما المؤلفات الطبية والكيميائية والرياضية والجبرية وغيرها قليلة جداً بالنسبة لغيرها

ويوجد في القاهرة عدة مكتبات كبرى ، ويلحق أغلبها بالمساجد ، ويتألف معظمها من كتب التوحيد والفقه ومعاجم اللغة ؛ إلا أن هذه المكتبات مهمة إلهالاً يرثى له ، وتفتي محتوياتها بسرعة وإلى حد بعيد لعدم أمانة القائمين بأمرها أو باستعمالها وإهمالهم . ويقتني بعض التجار الأثرياء وغيرهم مكتبات حسنة . ويبلغ عدد تجار الكتب في القاهرة - كما أخبرت - ثمانية فقط<sup>(٢)</sup> . إلا أن حوائثهم غير مجهزة تجهيزاً حسناً . ويدور الكتب كلما عثر على كتاب نفيس على حرفائه وهو يكاد يثق بالحصول على مشتر . وقلما تخاطب أوراق الكتاب معاً وإنما يدرج الكتاب عادة في غطاء مجلد ، وكثيراً ما يكون له غلاف<sup>(٣)</sup> خارجي من الورق القوي والجلد

وتتكون (الكراصة) من خمس ورقات مزدوجة كل منها في الأخرى ، وترتب الأوراق ملازم صغيرة دون أن تخاطب فيستطيع أكثر من قارئ استعمال الكتاب معاً ، فيتناول كل كراساً ، وتوضع الكتب مسطوحة الواحد فوق الآخر ، ويكتب عنوان الكتاب على واجهة الغلاف الخارجي أو طرف الأوراق ، وورق الكتب غليظ لامع ، ويستورد غالباً من البندقية ويلصق في مصر . والخبر كثيف لزوج ، ويستعمل القلم للكتابة وهو أكثر ملاءمة للخط العربي . وعندما يكتب العربي يضع الورق فوق ركبته أو على راحته اليسرى ، أو على (مسندة) تتكون من بعض أوراق قديز يدعها عن دستجه وتشد معاً عند الأطراف الأربعة فتكون كالكتاب الرقيق ، ويجعل الكاتب الحبر والأقلام في (الهوابة) المذكورة في الفصل الأول من هذا الكتاب ، ويوضع معهما المنقش واللقطة : وهي آلة من الناج يوضع عليها القلم ليقط . ويسطر الكاتب الورق بالسطرة : وهي قطعة من الورق المقوى يشد عليه بعرض الورق خيوط ملصقة بالقراء ، فيجعل السطرة تحت الورقة ويضغط على كل خيط بخفة ، وتتضمن عدة الكاتب مقصاً لتقطع الورق ، إذ لا يليق أن يكون أطراف

(١) ومصريون ، ويوجد أيضاً بين الأتراك

(٢) وظرف

الرئيسيين . ولا يتناول المدرسون أجراً . وليس لهم وسيلة منظمة لكسب معيشتهم غير التدريس في المنازل ونسخ الكتب الخ ... إلا إذا ورثوا ملكاً أو كان لهم أطرب يعولونهم . وقد يتناول المدرس هدية من الأغنياء . ويستطيع أى طالب كفه أن يصبح مدرساً بإجازة شيخ الجامع . ويتيح الطلبة غالباً طريقة المدرسين لكسب معاشهم ، أو يتلون القرآن في المنازل أو على القبور أو في مكان آخر . وعند ما يتقدم الطلبة في دروسهم التقدم الكافي يدخل بعضهم في القضاء أو الأفتاء أو إمامة المساجد أو التدريس في قرايم أو مدنهم أو في القاهرة . ويحترف البعض الآخر التجارة . وقد يستمر بعضهم طول حياته يتلقى العلم مبتغياً الوصول إلى مصاف كبار العلماء . وقد قصص عدد هؤلاء الطلبة الذين لا رواق لهم كثيراً منذ الاستيلاء على الأراضي الموقوفة على الأزهر . ويبلغ عدد طلبة الأزهر ما خلا العميان حوالي ألف وخمسة (١) كما أخبرني أحد المدرسين .

عبد الله طاهر نوري

( يتبع )

لاستعمال الطلبة ، وتعلم الطلبة من الدروس التي يلقيها المدرسون ومن محتويات الكتب الموجودة بمكاتب الأروقة ويتكون برنامج الدراسة من علوم الصرف والنحو والمعاني والبيان والعروض والمنطق والتوحيد والتفسير والحديث والفقه والحساب في حدود المسائل الشرعية . وهناك دروس في الجبر والمقابلة واليقاب . ويجلس الشيخ على الأرض عند أسفل عمود من الأعمدة ، ويتحلق حوله الطلبة . وقرأ طلبة المذاهب المختلفة كتباً مختلفة . وأغلب الطلبة قاهريون ، وهم لذلك شافعيون ، وشيخ الأزهر شافعي دائماً . ولا يدفع الطلبة للدراسة في الأزهر أجراً إذ أن أغلبهم قراء . ويتناول أغلب الأجانب الذين لهم أروقة خاصة راتباً من الطعام يومياً بصرف لهم من إيراد العقارات الموقوفة عليهم . والعادة أن يتناول طلبة القاهرة وما جاورها مثل هذا الراتب إلا أنهم لا يستلمون بذلك طويلاً ، خلا شهر رمضان ، لأن « محمد علي » استولى على جميع الأراضي الزراعية الموقوفة على المساجد ففقد الأزهر أكبر جزء مما وقف عليه . ولا تنفق الحكومة شيئاً غير مصارف الصيانة اللازمة وأجور المستخدمين

(١) ويقول الكثيرون إن عددهم لا يقل عن ثلاثة آلاف ، ويقول الآخرون إنه لا يزيد على الألف . ويختلف الطلبة كثيراً باختلاف الصور



## فرصة عظيمة

قدمها

مطبعة المعارف ومكبتها بمصر

بمناسبة توسيع محلاتها بالفجالة بالقاهرة

وقبل الجرد السنوي

تخفيض هائل في ثمن بيع معظم مطبوعاتها لكل مشتري بالنقد

بنسبة  $\frac{1}{3}$  ٣٣ %

من ١٦ إلى ٢٥ مارس سنة ١٩٤٢